المحاضره السابعة عشره

" فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

قـــــال الشيـخ :-

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بســـــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــم الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسَلَّمَ تسليمـاً كثيرا ، أمَّـــا بعدُ :

نواصلُ بحول الله وقوته مدارسةَ شرح كتاب التوحيد " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله وطيب ثراه " .

وما زال الكلام موصولاً مع باب " الدعـاء إلى شهادةِ أن لا إلـه إلا الله "

وقولُ اللهِ تعالـــى :

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله على بَصِيرَة أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحانَ اللَّهِ وما أنا مِنَ المُشْرِكِينَ "

قــال العلامةُ الشيخ "عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله " قـــال أبو جعفرٍبنُ جرير،:

يقول الله تعالـــى ذكرهُ لنبيهِ صلى الله عليه وسلم قُل يا محمد هذه الدعوةُ التي أدعو إليها والطريقةُ التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادةِ له دون الآلهةِ والأوثانِ

والإنتهاءِ إلى طاعته وتركِ معصيتهِ سبيلي وطريقي ودعوتي ، أدعو إلى الله تعالــى وحده لا شريك له ، على بصيرةِ بذلكَ ويقينِ علمٍ مني به أنا ومن يدعو إليه على بصيرةٍ أيضاً ،

من اتبعني وصدقني وآمن بي وسبحان الله ،

يقولُ له تعالـى ذكره : وقُل تنزيهـاً للهِ تعالـــى وتعظيمـاً له من أن يكون له شريكٌ في مُلكهِ أو معبوداً سواه في سلطانهِ وما أنا من المشركين ،

يقولُ وأنا بريءٌ من أهلِ الشركِ به ، لستُ منهم ولا هم مني .

قــــال الشيخ :-

أن هذه الجزئيه من الآيه (وما أنا من المشركين) نفي الشركِ عن النبي صلى الله عليه وسلم ونفي النسبةِ إلى أهلِ الإشراك (والمراد بها تحقيق البراء من الشركِ والمشركين)

- يقول الشيخ العلامه بن عبد الوهاب في مسائل الباب وفيه إبعادُ المسلم عن المشركين لئلا يصيرَ منهم .

والإبعاد بمعني التَبَري ونفي النسبةِ عنهم فيجب على المسلم الجهر بأنه ليس كافراً ، ويجهر بأنه ليس مشركاً ، وأنه يعادي أعداء التوحيد ، وأنه لا يوالي من خاصم اللهَ عزَّ وجلَّ وكفر بتوحيدِهِ سبحانه وتعالى .

يقول (وسبحان الله عمَّـا يشركون) وهذا فيه معني قولِ الله في سورة الكافرون (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عـبدون ما أعبد ولا أنا عابدٌ ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين)

وجملة (لكم دينكم ولي دين) ← لا تعني الإقرار بما عليه أهلُ الكفر من الباطل ولكن معناها البراءه بما عليه أهلُ الكفرِ من الباطل ، وإظهار الموقف العقدي والإيماني لي كمسلم ، ولابد أن أُثبِتَ صحة ما أنا عليه من إبطال ضده (والضدُّ يُظهِرُ حِسنَهُ الضدُّ) ،

فلا يمكن أن أُظهر سلامة التوحيد وفي نفس الوقت نوالي عبَّاد الأصنام وأن دينهم صحيح وأيضاً عبَّاد الصلبان وأنَّ دينهم صحيح ، فهذا كلامٌ باطل ، لان هذا ينقض إقراره بتوحيد الله

جلَّ وعلا لانه يصحح دين أعداء الله ودين من أشرك بالله ومِلةَ من عَبَدَ الأوثان ، وهذا لا يصِح .

- فهنا لا يقومُ التوحيدَ إلا على أنقاض الشِرك .

والمقصود بأنقاض الشرك ← (أنقاضُ الاعتقاد وليس أشلاء المشركين)

يمكن التعايش مع المشركين والتعامل معهم في مجتمع مسلم تكونُ الرايةُ فيه للهِ عزَّ وجلَّ وتكونُ الكلمةُ فيه لسلطان اللهِ جلَّ وعلا وشريعة الله .

وأرجح المذاهب عندنا أنه يجوزُ إقرارُ غيرُ الكتابيينَ في دولةِ الإسلام بعقودِ الذِمَّـه على أديانـهم الباطله (وثنيين كانوا أو ملاحدةَ كانوا أو لا دينيين كانوا) ولكن يُطَبَّق عليهم قانون الجِزيه ،

قال تعالــى :- **" حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صغرون "**

فبدفعهِ للجزيه يأخذ كامل حقوق المواطنه ، وحقوق المعامله الإنسانيه ...إلخ .

قــال (ابن القيم) في شرح المنـازل يريدُ أن تصلَ باستدلالك إلى أعلى درجات العلم وهي البصيره التي تكونُ نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر ، وهذه هي الخصيصه التي اُختُصَ بها الصحابةُ عن سائر الأمه وهي أعلى درجات العلماء ،

قال تعالــى :- **" قل هذه سبيلي أدعو على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني ... "**

ومن اتبعني ← أي أنا وأتباعي رضي الله تعالـى عنهم وأرضاهم على بصيره .

وقيل (ومن اتبعني) ← عطفٌ على المرفوعِ

أي أدعو إلى الى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله على بصيرةٍ وعلى القولينِ فالآيةُ تدُلُ على أن أتباعه هم أهلُ البصائرِ الداعون إلى الله تعالى ومن ليس منـهم فليس من أتباعه ، أي أن من ليس من أهل البصائر فليس من أتباع النبي على الحقيقه والموافقه وإن كان يدعي ذلك ، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى .

قـــال المصنف رحمه الله وطيب ثراه (يعني الشيخ ابن عبد الوهاب) فيه مسائل منهــا :-

وذكر منها ← التنبيهُ على الإخلاص لأن كثيراً ولو دعى إلى الحقِ فهو يدعو إلى نفسه ،

ومنها أن من دلائلِ حسن التوحيد أنه تنزيهٌ للهِ تعالى عن المَسَبّه .

يقول هنا ومنها أن من قُبح الشِرك كونه مَسَبَةً للهِ تعالى ومنها إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصيرَ منهم ولو لم يُشرِك .

قـــال الشيخ :-

لان المسلم مُطالب بالبراء والمفاصله (لكم دينكم وليَ دين) أبرأُ مما أنتم عليه كما تبرأون مما أن عليه ،

فلو سألنا مجلس المِلي الكَنسي في مصر أو في غيرها عن حكم شيخ الأزهر في ملتهم هل هو من أهل الإيمان والخلاص أم من أهل الكفر والإشراك ؟

لا يمكن أن يقول من أهل الإيمان والخلاص ولا حتى على سبيل المجامله .

وليس عند النصارى شفاعه فكل من سيدخل النار ليس بخارجٍ منها ، فهؤلاء يعتقدون من كاملِ قناعتهم ومن كاملِ فكرهم ومن منصوصِ كُتُبِهم ومن أصولِ ديانتهم أن كل من ليس مسيحي فهو كافر .

فلو سألناهم : النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ملتكم من أهل الإيمان والخلاص أم من أهل الكفر والإشراك ؟

قطعا الإجابه عندهم أنه في النار .

قـــــال العلامةُ ابن القيم رحمه الله في معنى قولِه تعالـــى :-

" ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ "

قـال ذكر سبحانه مراتب الدعوةِ وجعلها ثلاثةِ أقسامٍ بحسب حالِ المدعو :

- فإمَّــا أن يكون طالبــاً للحقِ محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه فهذا يُدعى بالحكمه (أي يُربى على صغارِ العلمِ قبل كباره) .

- إمَّـا أن يكون مشتغلاً بضدِ الحق لكنه لو عرفه آثرهُ واتبعه فهذا يحتاجُ إلى الموعظةِ بالترغيبِ والترهيب .

- وإمَّـا أن يكونَ مُعانداً معارضــاً فهذا يُجادَلُ بالتي هي أحسن فإن رجع وإلا انتُقِلَ معه إلى الجِدالِ إن أمكن .

ملحــــــوظه :-

ابن تيميه رحمه الله تعالـــى (وهو شيخ ابن القيم) يقول أن مراحل الدعوه إثنين وليس ثلاثه لأن الجدال ليس من مراحل الدعوه وأن مراحل الدعوه (الحكمةُ والموعِظةُ الحسنةُ)

فإن جادلوك فجادل بالتي هي أحسن لأن ليس من وسائل الدعوه الجِدال ،

لقولِ النبي صلى الله عليه وسلم " وأنا زعيمُ بيتٍ في رَبضِ الجنه لمن ترك الجِدال ولو كان مُحِقـاً " .

قــال وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّـا بعثَ معـاذاً إلى اليمنِ قال له " إنك تأتي قوماً أهلَ كتاب " .

قـــال شيخُ الإسلام :-

ومن فضائلِ مُعــاذ رضي الله تعالـــى عنه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن مُبَلِّغـاً عنه ومُفَقِهــاً ومُعَلِّمــاً وحاكِمــاً (وهذه وظائف مُعــاذ في بعثتهِ إلى اليمن)

ملحوظه :-

لقد إختار النبي صلى الله عليه وسلم مُعــاذاً لإنه فتى مُعَلَّم ، وقال عنه النبي " أعلمُ أُمتي بالحلال والحرام "

قـــال الشيخ :- أنه إمامُ العلماءِ يوم القيامه (مُعـــاذ)

وفي قول أنك تأتي قومــاً ذات كتاب قـــال القرطبي يعني به (اليهودَ والنصارى) لأنـهم كانوا في اليمنِ أغلبَ من مشركي العرب وإنما نبهه على هذا ليتهيــأ لمناظرتهم .

وقـــال الحافظُ :-

هو كالتوطئةِ لللوصيه ليجمعَ هِمَتَهُ عليها .

قال النبي لمعاذ " إنك تأتي قوماً أهلَ كتاب " فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله ،

(شهادةُ ← رفعٌ على أنه إسم يكُن مُؤخر وأولَ ← خبرُها) ويجوز العكس

قـــال وفي روايةٍ إلى أن يوحدوا الله وهذه روايةٌ ثابتةٌ في كتاب التوحيد من صحيح البخاري وأشار المصنفُ بذِكرِ هذه الروايه إلى التنبيهِ على معنى شهادةِ أن لا إله إلا الله فإن معنـاها توحيدُ اللهِ بالعباده ونفيُ عبادةِ ما سواه .

ذكر الشيخ أبيات من سُلَّم الوصول فقال :-

هَذَا وَثَانِي نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ   إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدَا   مُعْتَرِفًا بِحَقِّهِ لَا جَاحِدَا
وَهْوَ الَّذِي بِهِ الْإِلَهُ أَرْسَلَا   رُسْلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلَا
وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالتِّبْيَانَا   مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَقَ الْفُرْقَانَ
وَكَلَّفَ اللهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى   قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ   سِرًّا وَجَهْرًا دِقَّهُ وَجِلَّهُ
وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا   بِذَا وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وُصِفُ
وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَةِ   فَهْيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ
مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا   وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَ
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنَ   يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا
فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ   دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْه
أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ يُعْبَد ُ   إِلَّا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
بِالْخَلْقِ وَالرَّزْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ   جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ

إذاً هنا معنى توحيدُ الله أو معنى شهادة أن لا إله إلا الله ← توحيدُ الله بالعباده ونفيُ عبادةِ من سواه .

وفي روايةٍ " فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله وهذا هو الكفر بالطاغوت (أي التوحيد وعبادةُ الله على الوجه الأكمل = الكفر بالطاغوت)

لأن الطاغوت هو من تجاوز حدَهُ في العبادةِ والطاعه (أي أنه ليس من أهل العباده فادَّعاها لنفسهِ أو إدَّعـاها غيرُهُ له وهذا تجاوزٌ بالحق) .

قال وهذا هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله كما قال تعالى :-

" فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ "

يقصد بها أنها = لا إله إلا الله

أي أن (لا إله) = يكفر بالطاغوت

إلا الله = يؤمن بالله

ونفس المعنى أيضاً :

إنني براءٌ مما تعبدون = (لا إله)

إلا الذي فطرني = (إلا الله)

قال " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

العروةُ الوثقى هي ← لا إله إلا الله .

وفي روايةٍ للبخاري قال :-

ادعهم إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله .

تعليق الشيخ عبد الرحمن بن حسن على كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أو كلام الحافظ :

قال ، قلت لا بد في شهادةِ أن لا إله إلا الله من سبعةِ شروطٍ لا تنفعُ قائلها إلا بإجتماعها ، أحدها : العلم المُنافي للجهل

(أي لا تنفع الكلمةُ من قالها إلا باجتماع شروطِها فيه أن يقولها حين يقولها عالماً بمعناها علماً ينافي الجهل به) .

والثاني : اليقين وهو أن يكون موقناً بها يقيناً ينافي الشك .

الثالث : القبول (أن يقولها قابلاً ماجاءت به وما أمرت به وما أرشدت إليه قبولاً ينافي الرد وأن يقولها مُنقَــاداً للدينِ الذي هو رايته ومِفتاحُهُ الانقيادُ المُنافي للإباء وليس للترك لأن الترك المجرد لا يكونُ منافيــاً للانقياد ولكن يمكن أن ينافي تمامُ الانقياد إنما ينافي أصله بأنه يكون رد على الله عز وجل حُكمَهُ ، لا .

ومن شروطِها الخامس : هو الإخلاص المنافي للشرك أو الإخلاص المنافي للنفاق .

السادس : الصدقُ المُنافي للكذب .

لأن في باب التوحيد إذا أخبر الإنسان خبراً مُجَرداً من غير عقد القلب على أن محمداً رسولُ الله أو على أن الله ربُّ العالمين فهذا ليس توحيد ولا إسلام واستشهد الشيخ بالبيتين

مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَ
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنَ يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا

السابع : المحبةُ المُنافيةُ لضدها من البغضاء والكراهيه .

قال وفيه دليلٌ على أن التوحيدَ الذي هو إخلاصُ العبادةِ لله وحده لا شريك له وترك عبادةِ ما سواه هو أولُ واجبٍ الذي هو الإخلاصُ للهِ عزّ وجلّ بالعباده

تم ذكر شرح الشروط في حلقاتٍ سابقه .

قـــال شيخُ الإسلامِ رحمه الله :-

ولهذا كانت أولُ ما دعت إليه الرُسلُ عليهمُ السلام أن " اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُه "

وقال نوحٌ عليه صلوات اللهِ وتسليماته " أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّه " وفيه معنى لا إله إلا الله مطابقةً (أي بدلالةِ المطابقه) .

قـــال شيخُ الإسلام رحمه الله :-

وقد عُلِمَ بالاضطرارِ من دينِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الأمةُ ان أصلَ الإسلام وأولُ ما يؤمرُ به الخلقُ شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فبذلك يصيرُ الكافرُ مسلِمــاً والعدوُ وليــاً والمُباحُ دمُــهُ ومالُــهُ معصومَ الدمي والمال ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخلَ في الإيمان ، وإن قاله بلسانه دونَ قلبه فقد فهو في ظاهرِ الإسلام دونَ باطن الإيمان .

قــال وأمَّـا إذا لم يتكلم بها مع القدره فهو كافرٌ باتفاق المسلمينَ باطنــاً وظاهراً عند سلفِ الأُمــةِ وأئمتها وجماهيرِ العلماء .

أقسام الناس من حيث الظاهر والباطن في الإسلامِ والكفرِ ثلاثةُ أقسام لا رابع لها :

فالإسلامُ إمَّــا أن يكونَ كافراً ظاهراً وباطنــاً ، أو أن يكونَ مسلمــاً ظاهراً وباطنــاً ، أم يكونَ مسلمــاً في الظاهرِ كافراً في الباطن .

قـــال المصنفُ رحمه الله :-

وفيه أن الإنسانَ قد يكونُ عالمــاً وهو لا يعرفُ معنى لا إلــه إلا الله (عالمــاً بظاهرِ الحياةِ الدنيا) لكن ليس من أهلِ الإسلام ، فمن جهة العلم الدنيوي موجود أو من جهةِ العلمِ المنسوب للديانه لكنه باطنٌ مُحَرَّف موجود ولا يعرف معنى لا إله إلا الله ،

أو يعرفه ولا يعملُ به .

تعليق الشيخ عبد الرحمن بن حسن يقــــــول :-

فما أكثرَ هؤلاء لا كَثَّرهم الله .

قوله صلى الله عليه وسلم لمعـاذ (فإن هم أطاعوك لذلك أي شهِدوا وانقادوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في اليوم والليله ، فيه أن الصلاةَ أعظمُ واجبٍ من بعدِ الشهادتين .

قـال النوويُ رحمه الله ما معناه :-

إنه يدلُ على أن المطالبةَ بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعدَ الإسلام ولا يلزمُ من ذلك ألا يكونوا مخاطبينَ بها ويزدادُ في عذابهم بسببها في الآخره ، والصحيح أن الكفارَ بفروعِ الشريعةِ المأمورِ بهِ والمنهي عنه وهذا قولُ الأكثرين .